

الفصل الثاني والعشرون

[عمي خالد]

استقر بنا المقام في مغارة جديدة بعيداً عن الأولى في جانب آخر من الجبال، قبل أن تمر عدة ساعات على شروق الشمس.. ورغم ذلك شعرت أن هذا تصرف غير حكيم منا بعد انكشاف موقعنا الأخير.. لا بد أن المؤسسة ستسعى لنبش الجبال كلها عما قريب بحثاً عن هذا المخبأ.. كما أننا اضطررنا للتخلي عن المركبة في موقع بعيد شيئاً ما لئلا تستدل المؤسسة علينا عبرها..

كان أدهم يسير بشيء من العسر نحو المخبأ.. فقد كانت إصابة ساقه على شيء من السوء حيث بدت الدماء واضحة وهي تغرق ثيابه، فقال أُمجد لأدهم “ها قد وصلنا.. اصبر قليلاً بعد..”

غمغم أدهم “وهل سمعتني أتمدّر؟”

وأضاف “أرجو فقط ألا يكونوا قد تبعونا واستدلّوا على مخبأنا هذا..”

دلفنا المخبأ فجلس أدهم جانباً بعسر بينما قلت وأنا أتأمل المخبأ “ألا تخشون من انكشاف أمرنا من جديد في هذه الجبال؟”

قال وليد “سنبقى هنا الليلة فقط حتى نتمكن من العثور على موقع آخر أكثر أمناً.. خروجنا كجماعة أكثر خطراً من بقائنا هنا”

لم يعلق أحداً بكلمة بينما كشف أُمجد عن جرح أدهم الذي سببته رصاصة، فاستخدم قطعة من القماش لتنظيفه قبل أن يتفحصه جيداً.. ثم تنهد وهو يقول “الرصاصة لم تستقر في ساقك.. لقد جرحتك بشكل جانبي فقط وإن لم يكن سطحياً.. هذا من حسن حظك”

وأسرع يضغط على الجرح ليووقف تدفق الدماء التي استمرت تغرق ساقه وقال “لو كان وليد لا يزال على رأس عمله لطلبنا منه بعض العدة لمعالجة جرحك..”

سمعنا وليد من خلفنا يقول “ومن قال إنني أعجز عن هذا؟”

وغادر بصمت وسط الدهشة التي ظللتنا، بينما اقتربت بسمة من أدهم وهي تسأله بقلق شديد “هل أنت بخير؟”

هز أدهم كتفيه وهو يقول متجنباً النظر إليها كما أضحت العادة مؤخراً “هذا ليس بالجرح الخطير.. ليس شيئاً مقلقاً..”

لست أدري لم توترت بسمة أكثر قبل أن تسرع بالابتعاد، بينما اقتربت أنا من أدهم لأطمئن عليه بدوري.. وبعد فترة خلناها طالت أكثر من اللازم، دلف وليد المخبأ وهو يحمل حقيبة صغيرة وقال

“المركبات عادة تحمل مثل هذه العدة لمواجهة الطواريء.. إنها لك أيها العنيف..”

غمغم أدهم مقطباً “ألن تكف عن استخدام هذا اللقب؟”

قال وليد مبتسماً “أنا لن أنسى لكمثك لي ذلك اليوم الذي كدت تقتلني فيه.. ولم أسامحك عليها بعد”

قال أدهم باستنكار “أنت من هاجمنا.. أكنت تريدني أن أستسلم دون مقاومة؟..”

لم يعلق وليد وهو يرمى الحقيبة الصغيرة تجاهي فالتقطتها قبل سقوطها.. وفتحتها لأجدها تحتوي على زجاجات أدوية وأربطة وغيرها ثم قلت له “شكراً لك.. وإن كنت أتمنى لو تعاملت معها بحرص أكثر”

لم يعلق وليد على قلبي وهو يبتعد ليتحدث مع أمجد، فجلست قريبة من أدهم وتناولت ما في الحقيبة قائلة “استعد لبعض التعذيب أيها العنيف”

قال أدهم باستنكار “أنت أيضاً؟”

ابتسمت معلقة “لقد أعجبني اللقب..”

أما وليد، فقد اقترب من أمجد قائلاً “إذن.. ما الخطة الآن؟ يجب أن نتحرك سريعاً قبل أن نقع في قبضة المؤسسة من جديد”

تنهد أمجد مجيباً “لم يبق أمامنا إلا التسلل إلى إحدى السفن الفضائية.. لكن هذا عسير الآن إن لم يكن مستحيلاً.. خاصة بعد انكشاف أمرنا جميعاً وهربك من الإدارة.. خسرنا معاونتك لنا، وعلينا التخطيط جيداً قبل الإتيان بأي خطوة”

نظر خالد لأمجد باهتمام متسائلاً “هل تنوون الهرب؟”

أجاب أمجد “أجل.. كنا ننوي الرحيل فور تمكننا من تحريرك من قبضة المؤسسة”

عاد خالد يتساءل “وماذا عن البقية؟ ماذا عن بقية السجناء على الكويكب؟”

جذب تساؤله انتباهنا، فنظرنا لبعضنا البعض بحيرة، ثم قال أمجد “وما الذي نستطيع فعله لهم؟

أنتوقع أن نتمكن من تهريبهم معنا دون أن يشعر المسؤولون في المؤسسة؟”

قال خالد بابتسامة “ولم لا نجبر المسؤولين أنفسهم على ترحيل من في الكويكب وإعادتهم للأرض؟”

اعترض وليد قائلاً “هذا تفكير خيالي.. ما الذي سيجبر المؤسسة على فعل ذلك؟ والمناجم؟ والعمل الذي لا توقفه المؤسسة ليوم واحد أبداً؟”

قال خالد بصرامة “ومن يهتم؟ المهم عندي أن ننقذ هؤلاء السجناء من قبضة المؤسسة ونعيدهم للأمان على الأرض، حتى لو كان ذلك في سجونها”

تساءل أمجد بدهشة “لكن ما الذي سنفعله؟ هذا مستحيل يا عمي.. دعنا نغادر وبعدها سنسعى

لفضح ممارسات المؤسسة لدى مجلس الأمن الدولي ونسعى لإنقاذ من بقي على الكويكب”

نظر له خالد بنظرة ساخرة قائلاً "حقاً؟ وأنت تصدق أن مجلس الأمن والمجتمع الدولي سيصدق حديث بضع سجناء هربوا من سجنهم دون سبب مقنع؟ أنا لن أغادر، ليس قبل أن أنفذ ما خططت له منذ البدء بقدومي هنا"

نظر له أمجد مصعوقاً وتساءل "هل خططت لقدمك هنا حقاً؟" هز خالد رأسه إيجاباً وقال "أجل.. لقد منعوني من القدوم للكويكب بعد أن لاحظوا أنني أحاول جمع دلائل ضدهم، فسعيت لتهديدهم ومحاولة تأليب بعض المؤسسات المساهمة ضدهم.. فكان التصرف الطبيعي أن يتهمونني زوراً ويسعوا لنفيي على الكويكب.. لكن لم أتوقع البتة أن يسجنوني في المباني الإدارية ولم أتمكن من الفرار مهما حاولت.."

فقال أمجد بصدمة "إذن كل ما جرى كان بتخطيط منك أنت؟ وتركتني بحيرتي وذعري أبحث عنك بلا انقطاع.. لم أخفيت عني هذا الأمر؟"

زفر خالد مجيباً "لأجنبك عواقب تدخلك في أموري، لكنك سقطت في ما حاولت تجنبك إياه" ظللنا نتبادل النظرات المدهشة والحيرة تغمرنا، ثم زفر أمجد وقال "مادمت ستبقى يا عمي فأنا سأبقى بالطبع.. لم أت هنا لأعود خالي الوفاض"

فعلق وليد "أنا أيضاً لا يمكنني السكوت على ما ترتكبه المؤسسة في الكويكب.. ولا يمكنني الفرار متحماً ذنب كل من سيبقى هنا" سمعنا أدهم يغمغم "أنتم حمقى.."

أما أنا وبسمة فقد تبادلنا النظرات الحائرة والصمت يظللنا، فقال لنا خالد "الأمر راجع لكم في الانضمام إلينا من عدمه.. لكنني أحذركم أن التسلل للسفن الفضائية شبه مستحيل.. إنهم ينتظرونكم، وعقابكم لن يكون هيناً هذه المرة.."

كنت أدرك هذا، كما ولابد قد أدركه أدهم وبسمة أيضاً.. وبعد لحظة صمت قلت وقد شددت عزمي "أنا معكم إذاً.. البقاء مع الجماعة خير من التصرف منفردة.. أتمنى فقط ألا يطول بقاؤنا هنا كثيراً"

قال أدهم من خلفي "وأنا معكم بالطبع.. لست جباناً لأهرب الآن بعد كل ما جرى.."

أما بسمة فقد خفضت بصرها وذعرها يبدو جلياً على وجهها، لكنها مجبرة على الموافقة.. لا يمكنها أن ترحل وحيدة، ولا يمكنها أن تتصرف بمفردها بأي حال.. عندها قال خالد بابتسامة منشرحة "رائع.. فريقنا سيظل متلاحماً للنهاية.. نعيش معاً أو نموت معاً.. ما رأيكم بهذا الشعار؟"

نظر له أمجد ووليد باستنكار، بينما غمغت وأنا أبتعد "يا للسخافة.."

أما أدهم فقد أطلق ضحكة عالية وهو يعلق "أنا أفضل الجزء الأول فقط منه.. من يُرد الموت فليمت بمفرده وليعُفني من مشاركته"

بدا الإحباط على وجه خالد، لكنه سرعان ما استعاد جديته وهو يقول لوليد "أريد منك الكثير من المعلومات بخصوص المباني الإدارية، ما تعرفه عنها على الأقل.. حديثنا سيطول الليلة فكن متأهباً" تبعه وليد بصمت وانضم لهما أمجد، فجلست جانباً وكالعادة جلست بسملة قربي بصمت وهي تخفي وجهها بين ذراعيها المستندتين على ركبتيها، فقلت وأنا أضع يدي على شعرها "لا داعي لكل هذا الذعر يا بسملة.. أنت ستبقيين كل الوقت هنا.. سأؤكد أنك لن تتعرضي للأذى أبداً حتى ننتهي" همست دون أن ترفع رأسها "القول سهل.."

لم أستطع الاعتراض على هذا.. فصمتُ وأنا أدرك أن الصمت أفضل من كلمات جوفاء لا معنى لها..

تلك الليلة، اقتربت من وليد الذي جلس يراقب مدخل المخبأ وهم كبير مرتسم على وجهه، وجلست قريباً متسائلة "أأنت نادم على ما فعلته اليوم؟"

ابتسم بجانب فمه مجيباً "رغم أن ذلك التصرف كان حماقة كبيرة مني، لكنني لست نادماً البتة.. أنا حانق لأنني الآن لا أستطيع إفادتكم وإفادة هذه القضية بشيء.. بالعكس قد يكون وجودي عبئاً أكبر عليكم"

ابتسمت معلقة "أنت؟ أنت من أنقذ حياة بسملة وساعدتنا على الهرب وتخلصت من كل ملاحقينا اليوم، فكيف تكون عبئاً علينا بهذا؟"

وأضفت وأنا أتأمل الظلام خارج المخبأ الذي تنيرة بضع مصابيح ضعيفة "الآن جلّ همنا هو الهرب من هذا الكويكب المشؤوم.. وخيراً لك أن تغادر معنا أيضاً"

غمغم وليد "من يدري متى سيتحقق هذا.. وهل سيتحقق لكل الموجودين هنا الآن؟"

قلت بضيق "ولم التشاؤم؟ لقد تجاوزنا العديد من المحن معاً.. بانضمامك إلينا، وبوجود خالد أيضاً، فأنا أثق أن مهمتنا قد تكون أيسر من السابق"

قال وليد بهزء "هذه أحلام مبالغ فيها.."

سمعت أمجد من خلفي يقول "من قال ذلك؟"

التفتنا لنجده خلفنا وهو يحدجنا بنظراته المبهمة، بينما أضاف أمجد بهدوء "المفترض أن ترفع معنويات الفريق بدلاً من تحبيطها بكلمات كهذه.."

غمغم وليد "أجبت لتقول هذا فقط؟"

ابتسم أمجد ابتسامة لا معنى لها وهو يقول "عمي يريد أن يطرح عليك بعض الأسئلة.."

قال وليد "أنا قادم حالاً.."

نهضت لأغادر بصمت، فقال أمجد لي قبل أن أبتعد "يمكنك أن تنضمي إلينا لو رغبت يا حمراء.."

فعلقت بسخرية "لا شكراً.. لقد تعكر مزاجي بما فيه الكفاية اليوم.."

وغادرت تلحقني نظرات الضيق من أمجد والتعجب من وليد.. وما لم أسمع، هو قول وليد الذي رافق

ابتسامته تعجب ارتسمت على شفتيه "أدخلك هذا غيرتك منك؟"

نظر له أمجد بشيء من الحدة، وقال "لا داعي لهذه الاستنتاجات.. لقد أرسلني عمي لأنه بحاجة

إليك"

قال وليد هازماً كتفيه "لم الآن دوناً عن كل الأوقات؟.. كل شيء واضح أمامي.. نظراتك الحانقة التي

غمرتني فور اقتراب حمراء مني، وتدخلك الذي لا معنى له بعد أن طال الحديث بيننا.. كما أنها ليست

المرّة الأولى التي تتدخل فيها بالحديث بيننا.. لا يجب على المرء أن يكون عبقرياً ليعرف أنك تغار عليها

مني.."

فقال أمجد مقطباً "أتظن أنك تستحق الغيرة منك؟"

قال وليد بهدوء "ليس إن كنت لا تملك الثقة بمشاعرها تجاهك.."

عندها قال أمجد بغضب "اسمع يا هذا.. لو كنت تحاول استمالتها أو كسب مشاعرها فاصرف

النظر.. لأنني لن أقف صامتاً أنظر دون تدخل"

ضحك وليد وعلق "لم أتوقعك انفعالياً لهذه الدرجة.. ألهذه الدرجة تحبها؟"

ألقي عليه أمجد نظرة حنق قبل أن يغادر دون تعليق.. لم أسمع حوارهما هذا من موقعي، لكنني

لاحظت انفعال أمجد وقد بدا واضحاً أن وليد يتلاعب بأعصابه.. ولم تقتني نظرة الحنق التي ألقاها

أمجد عليه وعليّ وهو يبتعد عنه.. ترى، ما الذي أحنقه لهذه الدرجة؟..

في الصباح، انشغل أمجد مع عمه دون أن يشركاً أحداً منا، بينما ظللت جالسة في جانب المخبأ

أتشغل بأي شيء، ولقد لاحظت اختفاء وليد منذ نهوضي.. إلى أين ذهب وحيداً يا ترى؟..

انتبهت لجلوس بسمة جوارى والقلق يبدو على وجهها وهي تفرك يديها بصمت، ثم التفتت إليّ متسائلة

بصوت خافت "أأنت متأكدة أن أدهم سيكون على ما يرام؟"

نظرت لها متعجبة وقلت "سيكون كذلك بإذن الله.. لم السؤال؟"

خفضت بصرها وهي تضغط على يديها قبل أن تقول "لا أدري.. رؤيته مصاباً بهذا الشكل تقلقني.."

أخشى أن تتطور إصابته أو يصاب بتعب جراء فقدان كل هذه الدماء.. ونحن لا نملك وسيلة لعلاج
بشكل صحيح

قلت وأنا أنظر بعيداً "لا تقلقي.. سيكون بخير.."

وبعد مدة من الوقت قضيتها بصمت، وقفت واقتربت من خالد وأمجد قائلة "ألن نخبرنا بما تخطط
لفعله منذ الآن؟ كيف تنوي إجبار المؤسسة على إيقاف عملها هنا وترحيل السجناء للأرض؟"
لوح خالد بيده مجيباً "ليس الآن.. دعيني أفكر قليلاً.."

قطبت وأنا أراه ينشغل بأوراق في يده يخط عليها بقلم خطوطاً غير مفهومة.. يبدو أنه حصل على هذه
الأوراق من وليد ولست أدري لم كان يحتفظ وليد بها.. لكن ساءني تجاهل خالد لي فعدت أقول بشيء
من الحدة "ومتى تنوي فعل ذلك؟ أنت لم تقرر البقاء هنا دون خطة محددة، أليس كذلك؟"

قال لي أمجد "مهلاً يا حمراء.. سيخبرنا بما قرره بعد أن ينتهي"

تجاهلت أمجد بدوري وأنا أقول لخالد "وجودنا هنا فيه خطورة كبيرة علينا.. بعد هروبك، لن تصمت
الإدارة وتنتظر محاولتنا التسلل للسفينة، بل ستبحث عنك جاهدة لتعيدك إليها.. إن لم نتحرك بسرعة
فقد نخاطر بكشف أنفسنا قبل أن نبدأ"

قال خالد "وأنا أخبرتك أن تنتظري.. لا يمكنني أن أفصح عن خطتي قبل أن أتأكد منها.."

قلت بحدة "لماذا؟ هل نحن حمقى لهذه الدرجة لكي لا تضعنا في الصورة؟"

نظر لي خالد مقطباً دون أن يجيب، فيما وجدت بسمة تجذبني وهي تقول بخفوت "حمراء.. لا داعي
للعصية.."

بدا أن خالد لم يكن ينوي إجابتي بأي حال، فاستدردت وتركتهما وأنا حانقة، ووجدت نفسي أقترب من
أدهم وأجلس قريباً وأنا أسأله بضيق "هل يعجبك ما يجري هنا؟"

سألني بدوره وهو يبذل ضماد ساقه "عن أي شيء تتحدثين؟"

قلت بحدة من جديد "عن تهمة شينا للجوانب بواسطة أمجد وعمه.. ألسنت مستاء من ذلك؟"

هز أدهم كتفيه قائلاً "لا أريد إتعاب عقلي بمزيد من الخطط.. فليفعلا ما يريدانه، المهم أن تؤدي
النتيجة لخروجنا من هذا الكويكب قطعة واحدة"

زفرت بحدة وأنا أصمت، فسألني أدهم وهو يبتسم بتعجب "أراك قد أصبحت متحاملة كثيراً على
أمجد.. ما الذي فعله ذلك الوغد ليحنقك بهذه الطريقة؟"

غمغمت بضيق "لم يفعل شيئاً.."

عاد يتساءل "إن أهو أمر راجع لشيء حدث قبل قدومنا للكويكب؟"

نظرت له بدهشة، فقال مضيفاً "لست أحمقاً كما قد تعتقدون.. وقد لاحظت الكثير من الأمور التي

أيدت فكرتي هذه"

عدت أزفر بضيق، قبل أن أقول "بالفعل كنت أعرف أمجد في الماضي.. لقد استغلني للحصول على معلومات عن المؤسسة حيث كنت أعمل، وقد تسبب هذا في توريطي بمشاكل معها ونفيلي بالتبعية للكويكب.."

فعلق قائلاً "رغم أن هذا تفسير مقتضب جداً، لكنه كاف لأفهم سبب هذا العداء منك تجاهه.. لكن أنصحك بأن تهدئي، فلا ذنب لخالد فيما جرى بينكما سابقاً"
قلت متنهدة "أعلم ذلك.. لكنني أكره تهمنيشي لأي سبب كان.."
قال مبتسماً "عليك التعود على ذلك.. فيبدو أن هذا أسلوب خالد في التعامل مع الآخرين"
زفرت بضيق ربما للمرة العاشرة هذه الساعة..

لم يكن النهار قد انتصف عندما دلف وليد المخبأ وهو يقول "أخبار سارة.. هناك فرقة كاملة من الحراس تجوب الجبال بحثاً عنا.. لكنها في بقعة بعيدة جداً عن هذا الموقع.."
نظرنا لبعضنا البعض بنظرات القلق، فعلق أدهم "يجب أن نغادر بأسرع ما نستطيع.."
تساءلت بسمة بذعر "إلى أين نذهب؟ سيعثرون علينا في كل حال"
ربت على كتفها لتهدئتها، بينما قال خالد موجهاً حديثه لوليد "هل بحثت عن مخبأ جديد لنا؟"
قال وليد "لا.. لقد ذهبت للقيام بأمر أهم.. سأذهب الآن للبحث عن موقع جديد، لكن أعتقد أن علينا تجنب هذه الجبال"
قطب خالد متسائلاً "إذن ما الذي كنت تفعله منذ الصباح؟"
أجاب وليد مبتسماً "سأخبرك فيما بعد.. سأذهب الآن، لكن كونوا على حذر.. لا ندري متى سيصل الحراس لهذه البقعة"
وجدت نفسي أنهض وأنا أقول "سأذهب معك.."
وقف وليد متسائلاً "لم؟ انتظريني في المخبأ مع البقية فالبحث سيكون طويلاً ومتعباً"
قلت هازة رأسي "لا يهمني.. لا أحب الجلوس بدون عمل، ولا أستطيع البقاء في المخبأ أكثر من هذا.."
اقترب أمجد مني وقال "لا تذهبي يا حمراء.. خروجك الآن فيه خطر كبير عليك.. وليد سيتدبر أمره، أما أنت...."

قلت بجفاء "لا يهمني رأيك.. سأتدبر أمري أنا أيضاً.."
وغادرت المخبأ والضيق يبدو ظاهراً على وجه أمجد لقولي الجارح.. بينما تساءل وليد بدهشة "ما بالها؟ تبدو غاضبة منك.."
زفر أمجد معلقاً "لقد استعادت ذكرياتها"
عاد وليد يتساءل "وما شأن هذا بك؟"
أجاب أمجد بضيق "لقد كنا نعرف بعضنا البعض قبل قدومنا للكويكب.. وهي تكرهني لما كان بيننا في السابق.."
فقال وليد بتعجب "يبدو أن ما بينكما كان شنيعاً.. فكراهيته لك تبدو بلا حدود"
غمغم أمجد بضيق "لست أفهم كيف استعادت ذكرياتها.. أهو بسبب دواء استعادة الذاكرة الذي أحضرته أنت؟ لكنها لم..."
قاطععه وليد بدهشة "من قال إن الدواء الذي أحضرته لاستعادة الذاكرة؟"
نظر له أمجد بتعجب وقال "أنت لم تنفِ الأمر عندما سألتك عنه"
قال وليد مقطباً "كنت مشغول الفكر فالشكوك كانت تدور حولي وخشيت من رؤية الحراس لي معك.. هل تأكدت أن الجميع قد حصلوا على جرعتهم الخاصة؟ الأمر جد خطير ولا يمكن التساهل فيه.."
نظر له أمجد بدهشة، ثم حول بصره إلي وأنا أبتعد وفكرة تتبلور في رأسه مع كمية لا بأس بها من القلق..
بعد مسافة قصيرة قطعتها وحيدة، وجدت وليد يلحقني فيسألني وهو يسير إلى جواني "ألاحظ أنك غدت أكثر كآبة من السابق.. ما الذي حدث؟ أهنالك ما يسبب لك الضيق؟"
قلت بعد لحظة صمت "بالطبع سيصيبني الضيق عندما أدرك أنني قد ظلّمت بالقدوم هنا.. أن معاناتي طوال تلك الأيام الماضية كانت بحكم جائر أسقط علي"
قال بفضول "جيد أنك استعدت ذاكرتك.. وهل عرفت من أنت حقاً؟"
نظرت له مقطبة وقلت "لقد تحولت هذه لجلسة استجواب كما أرى..!"
ابتسم معلقاً "لست مجبرة على الإجابة.. لكن يهمني معرفة من تكونين.."
قلت بعد تردد بسيط "اسمي لمياء.. كنت أعمل في فرع المؤسسة في الشرق الأوسط، ولم يكن يتجاوز العمل كمترجمة لإجادتي اللغة الفرنسية.. ثم، بسبب ظرف خاص، بدأت أشك في الممارسات التي تدور في المؤسسة بعيداً عن الواجهة البراقة التي تملكها.. حاولت تقصي بعض الحقائق، واستدراج بعض العاملين لمنحي فرصة الاطلاع على ملفات العاملين على الكويكب.. لكن يبدو أن بحثي كان مكشوفاً أكثر مما أبغي.. حاولوا تهديدي بشكل ضمنني عن الاستمرار في نبش قضايا لا تخصني،

لكنني اندفعت لاتهامهم بالكذب وهددتهم بكشف التجاوزات التي تقوم بها المؤسسة إن لم يمنحوني ما أبحث عنه من معلومات.. لست أدري ما الثقة التي استولت عليّ لأفعل ذلك، وكان ذلك حمقاً كبيراً مني..

بعد تهديداتي فهم تركوني وشأنني، مما استغربته.. لكن تلقيت بعد فترة دعوة لمقابلة أحد المدراء المهمين في المؤسسة، وذلك كما ادعوا رغبة منهم في نقلي لموقع أهم وأكثر حساسية.. فقبلت الدعوة ظناً مني أنهم يريدون إسكاتي ببعض العلاوات، والتقيت بذلك الرجل في منزله، كما ألح عليّ.. وبعد أن التقيت به في مكتب منزله، واحتسيت العصير الذي قدم لي، غفوت في مجلسي دون سابق إنذار..

رفع وليد حاجبيه معلقاً "لقد قاموا بتخديرك.. لكن لماذا؟" تنهدت وأنا أستعيد الذكرى البشعة التي تلتها، وقلت "استيقظت من غفوتي على هدوء تام.. كنت في ذات المكتب، والذي كان مظلماً للغرابة.. ورأيت المدير الذي كنت قد قابلته ملقى على الأرض جثة هامدة والدماء تنزف من رأسه.. وفي يدي، مسدس صغير أقبض عليه بأصابعي بشدة.. بعد أن زعرت وحاولت استيعاب الأمر، مسحت بصماتي من المسدس، وخرجت عبر الشرفة والحديقة محاولة الهرب.. لكن تلقيت عضة من كلب حراسة، وقبض عليّ حارس من الحراس الخاصين بقصر المدير.. ثم تمّ تسليمي للشرطة بعد اكتشاف الجريمة.. وكما توقعت، لم تكن بصماتي على المسدس فقط، بل تغمر المكان كله.. كما أنني آخر من جاء لمقابلة المدير قبل موته.. ومهما حاولت إثبات براءتي بآت جهودي بالفشل الذريع.."

ظل وليد يستمع لي بصمت واهتمام، فقلت "تم إيداعي السجن، وهناك أجبرت على الاعتراف بارتكابي الجريمة.. وبعد أن حكم عليّ بالإعدام، تم تسليمي لسجن المؤسسة التي قامت بإجباري بدورها بالتوقيع على العديد العديد من الأوراق.. ما فهمته منها أنها تبيح للمؤسسة استعبادي مدى الحياة مقابل الإعفاء عني والاكتفاء بسجني على هذا الكويكب.. وهكذا جئت هنا.."

قال وليد مفكراً "يبدو أنهم كانوا يرغبون بالتخلص من ذلك المدير لسبب ما، فوجدوها فرصة للتخلص منك في الآن ذاته.."

قلت معلقة "هذا يدلّ على أن الأمر يتجاوز المؤسسة ليشمل جهات أخرى مستفيدة منها ولاشك.. لقد رفضوا بإصرار غريب إجراء تحليل لدمي عندما طالبت بذلك ليجدوا المادة المخدرة فيه.. هذا دليل أن عناصر من الشرطة قد تم شراؤها أيضاً.."

فعلق وليد قائلاً "هذا مؤكد.. لكن كيف سنثبت ذلك؟"

قلت متنهدة "لا يهمني إثبات أي شيء.. أريد مغادرة هذا الكويكب بأي شكل من الأشكال"

فقال وليد بحزم "سنفعل ذلك بإذن الله.. حتى لو طال الأمر"
لم يعجبني الجزء الأخير من جملته.. حتى متى سيطول بنا البقاء على هذا الكويكب البغيض؟..

تقدم أمجد من أدهم قائلاً "كيف حالك الآن يا أدهم؟ هل أصبحت ساقك أفضل حالاً؟"
قال أدهم "لا يمكنني قول ذلك.. لكنني لن أموت من جرح كهذا.. فلا تقلق..
ابتسم أمجد لقوله وعلق "كن بخير يا رجل.. أمامنا أوقات عصيبة تحتاج لطاقتنا كاملة.. وأرجو أن
تمضي دون خسائر كبيرة"
نظر له أدهم بصمت للحظات، ثم قال مقطباً "رغم أنني رأيتك منذ البداية مزعجاً باهتمامك بالآخرين
وطيبتك اللا محدودة، إلا أنني لم أعرف أنك كنت وغداً في السابق"
نظر له أمجد بدهشة وهو لا يعلم إن كان أدهم يسخر أم هو جاد في قوله، لكن أدهم أضاف بجدية
"لقد أخبرتني حمراء عما كان بينكما في السابق بشكل مبهم.. والمفترض أن ألكمك على وجهك على
هذا.. لكن يبدو لي أنك لست كما كنت قبل قدومك للكويكب"
لم يعلق أمجد بكلمة وإن تبدى الضيق على وجهه، فأضاف أدهم "لكنني أحذرك.. إياك أن تؤذيها من
جديد.. إن لم تكن تحمل اهتماماً حقيقياً بها، فابتعد عنها.. هذا أفضل لك ولي كي لا أحمل ذنب ما
قد أفعله بك طوال عمري"
ابتسم أمجد ابتسامة باهتة وهو يقول "لا تقلق.. لن أؤذيها أبداً.. أتمنى لو أنني لم أفعل ما فعلته في
السابق، لكن فات الأوان على هذا"
ظل أدهم ينظر لوجهه ليتأكد من صدقه، فأضاف أمجد بجدية "اهتم ببسمة وعمي في غيابي.. أعلم
أنك متعب، لكن لا يوجد غيرك لحمايتهما إن تعرضتم لمكروه في غيابي وغياب وليد"
سأله أدهم "إلى أين أنت ذاهب؟"
أجاب أمجد "أرسلني عمي لمراقبة السفينة التي ستصل اليوم.. إنه يريد التأكد مما ستحضره في
قلبه، ويبدو أن وليد قد أخبره بقدوم حمولة مهمة في وقت قريب"
تساءل أدهم باستغراب "أي حمولة هذه؟ وما أهميتها؟"
هز أمجد كتفيه قائلاً "لا أعلم حقاً.. عمي لا يفصح عما لا يرغب في معرفتنا له مهما حاولت.. لذلك لا
أريد مجادلته كثيراً"
غمغم أدهم "أنت تطيعه طاعة عمياء"

ابتسم أمجد معلقاً "لأنني أثق به.. هذا كل ما في الأمر.."
لم ينبس أدهم بأي حرف فيما وقف أمجد وغادر المخبأ تاركاً أدهم وبسمة وخالد فيه كل منشغل في
جانب بعيد عن الآخرين، والصمت التام يسودهم..

أبعدت ورقة شجر ضخمة من طريقي وأنا أتساءل "لماذا نبحت في الغابة؟ رغم أنها مترامية
الأطراف، لكن أشك أن نعثر فيها على مخبأ صالح لنا جميعاً"
قال وليد وهو يتقدمني بعدة خطوات ويتلفت حوله "هناك موقع أذكره في هذه الغابة.. لكني لا أعلم أين
هو بالتحديد.."
والتفت إليّ مضيفاً "ومن الأفضل مغادرة الجبال بعد انكشاف أمركم في المرة السابقة.. أليس
كذلك؟"

هززت رأسي موافقة، وتلفت حولي بتعجب من هذا الموقع الذي ذكره وليد.. كيف يمكن أن نجد مخبأ
كهذا هنا؟.. تنهدت وأنا ألحق بوليد عندما وجدته يقف فجأة، ثم رمى بسلاحه لي قائلاً "هناك وسيلة
أسرع لمعرفة ما حولنا"

أمسكت السلاح بدهشة، فوجدته يسرع لشجرة كبيرة وعلى شيء من الطول قربنا ويشرع بارتقائها
بسرعة.. تلفت حولي منصتة للصمت الذي لم يكسره شيء عدا عن حفيف بعض الأوراق بفعل الرياح،
ثم عدت ببصري للأعلى لأجد وليد قد وصل لأعلى فرع في الشجرة بسهولة ووقف عليه يتأمل الغابة
الشاسعة لمدة طالت.. ولم تمض مدة طويلة حتى رأيته يهبط من الشجرة حتى فرعها الأخير ويقفز منه
للأرض، ثم تقدم مني واستعاد سلاحه قائلاً "يبدو أنني أخطأت الموقع.. لم أر له أثراً من بين بحر
الأشجار هذا.. يجب أن نبحت في موقع آخر من هذه الغابة"
سألته وأنا أتبعه "ما هذا الموقع الذي تتحدث عنه؟"

أجابني وهو يسرع في خطوه "هناك هضبة كبيرة في موقع ما من هذه الغابة.. لابد أن تحوي مثل
هذه الهضبة بعض المخابيء.."

وزفر وهو يضيف "رغم أن هذا اليوم بدأ بداية موفقة، لكن يبدو أن الحظ سيخونني هذه المرة"
ضيقت عيني وأنا أتساءل "أين اختفيت هذا الصباح وما الذي فعلته في غيابك؟"
أجابني "ستعلمون قريباً.. فقط اصبروا.."

قلت بصرامة "أنت أثرت شكوك الجميع بتصرفاتك هذه.. من الأفضل أن توضح أهدافك قبل أن تتزايد

الشكوك حولك”

التفت إليّ متسائلاً “هل بدأت تشكين بي أنت أيضاً؟”

قلت مقطبة “لو بدا منك تصرف يثير شكّي وأنت تمتنع عن الاستجابة لأسئلتني.. فنعم، يمكنني أن أشك بك”

تنهد وليد قبل أن يقول “لا تقلقي.. أنا الآن معكم في كل الأحوال.. ما سيوقع بكم سيوقع بي أيضاً..” قلت معلقة “ومع ذلك، نريد أن نعرف ما تنوي فعله حقاً”

صمت للحظات، ثم نظر لي قائلاً “لقد سعيت للحديث مع أحد الحراس ممن كنت أعرفهم وأثق بهم ثقة كبيرة من قبل”

نظرت له بصدمة قبل أن أهتف “أأنت مجنون؟ ماذا لو أوقع بك وبنا بالتبعية؟ كيف تتصرف تصرفاً أحمق كهذا بمفردك؟”

قال وليد “لهذا لم أرد إخباركم بالأمر فوراً.. ولقد اتخذت احتياطاتي.. لقد كنت أعرف أن ذلك الحارس كان يشعر بضيق من معاملة المؤسسة الغير عادلة للسجناء ويشك بنواياها الحقيقية بالنسبة لهم.. لكن لم يكن بيده حيلة لفعل شيء.. لذلك توجهت له وأخبرته بكل ما أعرفه عن المؤسسة، وهو قد أيدني بما أفعله وأبدى رغبته بمساعدتنا..”

نظرت له بدهشة تامة، ثم قطبت قائلة “ألا يمكن أن يكون في الأمر خدعة؟ ربما أراد تتبعك لمعرفة موقعنا”

هز وليد رأسه نفيًا وقال “أنا أثق به تماماً.. ثم إنني، بعد مغادرتي، تأكدت أنني غير ملاحق بأي شكل كان..”

وأضاف مبتسماً “ويبدو أنه ليس الوحيد الذي يشعر بهذا.. هناك عدة حراس آخرين قد ينضمون إلينا.. وهو سيسعى لاستمالتهم ويجمعني بهم الليلة” فتساءلت بدهشة “لماذا يفعلون ذلك؟”

أجاب وليد “أسباب كثيرة.. أغلب الحراس لا يوافقون على المعاملة التي يعاملها الإداريون للسجناء.. ولما عرف ذلك الحارس أن الكثير منكم قد ألبس تهمة ظالمة أبدى عدم رغبته في المشاركة في هذا الظلم.. كما أن معاملة القائد ومساعديه لهم قد سببت لهم الضيق، إذ إن القائد يشعرهم ألا أهمية لحياتهم ووجودهم بالنسبة للمؤسسة.. رغم أنهم ليسوا سجناء، بل موظفين عاديين تعاقدت معهم المؤسسة، إلا أن معاملتها لهم لا تختلف كثيراً عن معاملة السجناء..”

ظلمت أفكر في هذه الصدفة العجيبة، ثم قلت له “يحسن ألا تفودهم إلينا في الوقت الحالي وتوَحّ الحذر.. قد تكون هذه خدعة منهم للإيقاع بنا رغم كل شيء”

هز وليد رأسه موافقاً وقال "طبعاً لم يرغب هذا عن ذهني.. لن أندفع لفعل قبل أن أتأكد منه تماماً"
وعاد يستمر في سيره وأنا أتبعه بشكل حثيث.. هل حقاً سينضم أولئك الحراس إلينا؟.. هل ستتقلب
الأمور لصالحنا أخيراً؟ أم أنها فقاعة أمل سرعان ما تنفجر كما حدث كثيراً من قبل؟..
